سيرة فاضل

وهي ترجمة المرحوم العلّامة الفاضل والامير الكبير الكامل عبد الله باشا فكري كتبها بعض اهل وداده النازلين منهُ منزلة احد اولاده راعى فيها الاختصار ولن لم يهمل منها جانب الاعتبار

لما كان المرحوم الامير عبد الله باشا فكري من الرجال الّذين يندر وجود امثالهم ويعزّ في الناس مثلُ حالهم رأيتُ أن آتي بشيء مما يحضرني في ترجمتهِ تغمدهُ الله برضوانهِ ورحمتهِ

ولد المترجم في اوائل شهر ربيع الاول من عام سنة ١٢٥٠ من الهجرة وهو ابن محمّد افندي بليغ ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمّد وكان جدهُ الشيخ عبد الله من العلماء المدرسين بالجامع الازهر مالكي المذهب اقتداء باسلافهِ الّذين كانوا من اكابر العلماء وقد اخذ جدهُ العلم عن اجلاء من مشايخ الوقت وخصوصاً العلّامة الشيخ عبد العليم الفيومي الشهير بالعلم والبركة والكرامة وكان رحمهُ الله مفرئهُ في الدرس

ولما دخل الفرنساوية مصر القاهرة وكان منهم ما كان مع العلماء رحل الشيخ عبد الله الى منية بن خصيب فاقام بها مدة ثم عاد الى القاهرة واشتغل بالعلم الى ان توفي ودفن ببستان العلماء من قرافة المجاورين بقرب ضريح الشيخ علي العدوي المالكي وكذلك نشأ ابنهُ محمّد افندي بليغ والد المترجم لهُ على جادّة ابيهِ يتلقى العلوم بالازهر حتى نبغ في علومهِ ثم دخل المدارس الملكيّة وبرع في العلوم الرياضيّة الى ان عد من مشاهير المهندسين واتصل بخدمة الحكومة ثم دخل في عداد ضباط الجيش وترقى فيها الى رتبة صاغقول اغاسي وشهد مع الجنود بعض الحروب خارج الديار المصريّة وما شهدهُ معهم غزوة بلاد موره وبعد انقضائها رجع منها بوالدة المترجم ثم رحل معها مع الجيوش المصرية الى بلاد الحجاز وهناك رزق منها بولدهِ عبد الله هذا بمكة المشرفة في التاريخ السابق ومن الاتفاق الحسن ان تاريخ ميلادهِ وافق جمل قولهُ تعالى "قال اني عبد الله اتاني الكتاب" ١٢٥٠ وينسر الكتاب بالكتابة كما هو مدلولهُ اللغوي وقد جاء المترجم بديع زمانهِ في فنون الكتابة حتّى قيل انهُ لو تقدم بهِ الزمان لكان لهُ بديعان ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همذان ولما كبر رقم تلك الآية على خاتم لهُ كان يختم بهِ كتبهُ

ثم رجع بهِ والدهُ الى القاهرة ولم يزل كذلك في خدمة الحكومة حتى ارتقى الى وظيفة باشمهندس الشرقيّة وانتقل منها الى وظيفة مفتش هندسة الجيزة والبحيرة وتوفي بها بعد قليل

في ٢٩ شوال سنة ١٢٦١ ودفن مع والده وكان مع براعته في الفنون الرياضية كريم الاخلاق تقيًا صالحًا

والمترجم كان عند وفاة والده لم يبلغ الحلم فنشأ يتيمًا في حجر بعض اقارب ابيه من السادة العلوية وكان اذ ذاك مشتغلاً بتعلم القرآن الشريف فلم يزل كذلك حتى اتمه وجوّده واستمرّ على تلاوته مدة يختمه في اليومين والثلاثة ختمة ثم اشتغل بطلب العلم في الجامع الازهر وتلقى العلوم المتداولة به كعلوم العربية والفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق عن اجلاء علمائه كالشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد عليش والشيخ حسن البلقاني وغيرهم وكان مع هذا يشتغل باتقان اللغة التركية

ثم وظف بالقلم التركي في الديوان الكتخدائي اوائل جمادى الآخرة سنة ١٢٦٧ ولم يقطعه التوظف عن طلب العلم في الازهر كل يوم قبل ذهابه الى الديوان وبعد ايابه منه الى ان كثرت اشغاله فلم يستطع الذهاب اليه الا انه كان يشتغل بعلومه تارة وحده وتارة مع استاذه الشيخ علي خليل الاسيوطي وهو من جهابذة اللغة والفلسفة والسنّة ومقامه الآن في بلدة يقال لها بني خالد على الشاطىء الغربي من بحر يوسف بقسم ملوي من مديرية اسيوط

ثم انتقل المترجم من الديوان المذكور الى ديوان المحافظة ثم الى الداخلية بوظيفة مترجم الى ان التحق بالمعية الخديوية ايام حكومة المرحوم سعيد باشا واستمرّ بها الى ان توفي سعيد باشا سنة ١٢٧٩ وجلس على اريكة الحكومة دولتلو اسماعيل باشا الخديو السابق ورحل معه الى الاستانة لما مضى اليها لاستكمال الرسوم في تقليد الولاية واداء الشكر للحضرة السلطانية ثم عاد معه واستمرّ في خدمته بمعيته وسافر الى اسلامبول مرارًا في مأمورية الكتابة تارةً مع الجناب الخديوي وتارةً مع الحرم الخديوي وبعض مأموريات أخرى ورقي الى رتبة بك المعروفة بالرتبة الثانية في اوائل سنة ١٢٨٢

ثم عين في سنة ١٢٨٤ من طرف الخديوي السابق لملاحظة الدروس المشرقية اعني العربية والتركية والفارسية بمعية انجاله الاماجد وهم افندينا الخديوي المعظم توفيق باشا واخوه البرنس حسين باشا والمرحوم البرنس حسن باشا ومعهم البرنس ابراهيم باشا احمد والمرحوم طوسون باشا ابن المرحوم سعيد باشا بامر الخديو المعظم وبعث حضرة الخديو السابق بخطاب من لدنه للحضرة التوفيقية يذكر فيه انه عينه لهذه الوظيفة مع احتياجه لبقائه في معيته فائرهم على نفسه لفرط اعتنائه بتقدمهم في التعلم ويحثهم على ان يقدروا هذه العناية والرعاية حق قدرها ويجدوا ويجتهدوا في تحصيل العلوم فاقام يباشر امرهم في التعليم والتعلم

والتدرج في الفضل والتقدم فكان احيانًا يباشر التعليم بنفسهِ واحيانًا يقوم بمراقبة غيرهِ من المعلمين وملاحظة القاء الدروس وتقويم طريقة التعليم فلم يزل على ذلك الى ان ترقى الجناب الخديوي التوفيقي الى رتبة الوزارة والمشيرية وتوجه الى دار الخلافة العظمى لاداء رسوم الشكر على ذلك للجناب الرفيع السلطاني المعظم فصحبهُ المترجم الى دار السعادة وبقي معهُ مدة المقام بها الى ان عاد معهُ

وبعد مدة نقل الى ديوان المالية سنة ١٢٨٦ فاقام اياماً بغير عمل ثم عهد اليهِ النظر في امر الكتب التي كانت موجودة في ديوان المحافظة على ذمة الحكومة وابداء رأيهِ فيها فلبث مدة يتردد على ذلك الديوان وينظر في الكتب ثم قدم تقريرًا منصلاً ضمنهُ بيانها وما رآهُ في حالها وذكر فيهِ ان بقاءها على حالتها لا يحسن ولا يحفظها ولا يمكن من الانتفاع بها وقال بلزوم جعلها على هيأة يتأتى معها انتفاع الناس بها اما بانشاء محل خاص تحمل اليهِ ويجعل فيهِ ما فيهِ الكفاية لها من الخزن وتوضع بهِ على الوضع الموافق واما باحالتها على المدارس لتودع في المكتبة الجاري انشاؤها بمعرفة سعادة علي باشا مبارك ناظرها اذ ذاك على سعة لا تضيق بهذه الكتب وامثالها واوضح ان الوجه الثاني اولى وقد حصل ذلك على وجه ما قرَّرهُ وبذلك استنقذت تلك الكتب النفيسة من زوايا الخمول والاهمال والاكتئام ورفعت على منصات الحسن والزينة والانتظام ورتبت ترتيبًا حسنًا في المكتبة المذكورة وهي الكتبخانة الخديوية المعروفة الشهيرة في سراي دربِ الجماميز العامرة

فلما انهى هذا العمل وكان المجلس الخصوصي الذي خلفَ مجلس النظار فيما بعد مشتغلاً بجمع القوانين واللوائح وقراءتها وتنقيحها وتعديلها طلب من المالية للعمل في ذلك وسلمت اليهِ القوانين واللوائح التركية فاخذ يشتغل بعملهِ الى ان انفصل من الخدمة في اوائل رجب سنة ١٢٨٧ ورتب لهُ معاش بقدر ربع راتب وظيفتهِ المنفصل عنها وبقي كذلك الى اواخر السنة المذكورة

وفي اوائل سنة ١٢٨٨ جعل وكيل ديوان المكاتب الاهلية وكان ناظر الديوان المذكور سعادة علي باشا مبارك وفي آخر صفر سنة ١٢٩٤ رقي الى رتبة المتمايز وفي رجب سنة ١٢٩٦ صار وكيلاً لنظارة المعارف العمومية ورقي الى رتبة ميرميران ثم ضمت اليهِ وظيفة الكاتب الاول بمجلس النواب مع بقاء الوظيفة المتقدمة وفي شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٩ فوضت اليهِ نظارة المعارف العمومية

وفي رجب من السنة المذكورة استقال من وظيفتهِ مع النظار الذين كانوا معهُ بناء

على ما حصل حينئذٍ من الفتنة والاضطراب والخلاف بين رئيس النظار والحضرة الخديويّة اثناء الحادثة العسكريّة المشهورة

وفي آخر السنة المذكورة عقب الثورة سجن في ضمن من سجن بتهمة الاشتراك فيها مع كثير من العلماء والامراء وغيرهم وكان ذلك بسبب ما وشى به بعض المنسدين وقد ثبتت براءته من تهمة الاشتراك فيها بعد التحقيق الذي اجراهُ من كان مفوضًا اليهم اثر هذه الحادثة وحينذاك اخرج من السجن وبقي معاشهُ موقوفًا والنفس مقابلة الجناب الخديوي فلم يسمح له بذلك فنظم في ذلك قصيدة سارت مسرى الامثال في الشهرة يستعطف الحضرة التوفيقيّة بها ويتنصل مما افتراهُ عليهِ المفترون مما فيها مخى النابغة في اعتذارياتهِ فلما عرضت على الجناب الخديوي اجلها واحلها من القبول محلها وسمح له بالمثول بين يديهِ واقبل عليهِ واطلق معاشهُ وقد ذكرت هذه القصيدة وغيرها من قصائدهِ الرائقة في الجزء الاول من خطط صاحب العطوفة علي باشا مبارك ناظر المعارف العموميّة وسنأتي على بعض ابياتها في نموذج نظمهِ . ثم نظم قصيدة اخرى شكرًا للجناب العالي على عطف قلبهِ سنأتي على شيء منها فيما بعد

وفي سنة ١٣٠٣ توجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج فلقي من علماء الحجاز وادبائهِ بمكة المكرمة والمدينة المنورة ما يليق بمقامهِ الجليل من الاعظام والتبجيل ولهُ في هذه الرحلة مقال يعرف بالرحلة المكيّة الاّ انهُ لا يحضرني الآن منهُ شيء

وفي سنة ١٣٠٤ سافر من مصر لزيارة بيت المقدس والخليل ومعهُ نجلهُ امين بك ذكري وصادف من العلماء والعظماء اكرامًا بتلك الديار يليق بقدرهِ ويجدر بفضلهِ وبعد اتمام المندوب من زيارة مقامات الانبياء والاصفياء والاعتبار بمشاهدة اثار الصديقين والشهداء والملوك والامراء انعطف الى بيروت قصد السياحة وتبديل الهواء فاقام بها مدة تقل عن الشهر ومقامهُ منتدى الفضلاء ومشرع الأدباء والعلماء يحف بهِ في اغلب اوقاتهِ الوجوه والاعيان وترد اليهِ الأجلة من قاصٍ ودانٍ . ثم ارتحل الى دمشق ونزل في بيت حضرة الاستاذ الشيخ محمّد الخاني واقبل عليهِ علماء الشام وذوو الوجاهة والفضل منهم يحاضرونهُ ويذاكرونهُ فرأوا من سعة العلم ووفرة العرفان ما لم يكونوا ينتظرونهُ وشهد لهُ فقهاؤهم بالتضلع من علوم الشريعة وفصحاؤهم بالبراعة في كل بديعة ومحدثوهم بصحة الرواية وعقلاؤهم بكمال الدراية ولا يزال اثرهُ بينهم مأثورًا وفضلهُ على السنتهم مذكورًا ثم رجع من دمشق الى بعلبك واخذ طريق الجبل الى بيروت واقام بها ما يقرب من

الشهرين وله في وصف سيرهِ من دمشق الى بعلبك خطاب الى حضرة الشيخ عبد المجيد الخاني نجل الاستاذ السيد محمَّد الخاني وهو من اشهر ادباء دمشق. وفضلاتها وسنأتي على شيء من فقرات ذلك الخطاب عند ذكر شيء من نظمهِ ونثرهِ

وفي سنة ١٣٠٦ تعين رئيسًا للوفد العلمي المصري في المؤتمر الذي انعقد في مدينة استوكهلم عاصمة السويد والنروج وصحبهُ حضرة نجلهِ اميل بك فكري عضوًا في هذا الوفد وقبل سفرهِ من اسكندريَّة احسن اليهِ الجناب الخديوي بالنيشان المجيدي من الدرجة الثانية وقد مرَّ في وفادتهِ المذكورة على تريستا من اعمال النمسا وفينيسيا (البندقيَّة) وميلانو من اعمال ايطاليا ولوسرن من اعمال سويسره وباريس فاقام بها اكثر من عشرين يومًا تفرج فيها على المدينة وضواحيها وكان اذ ذاك المعرض فشاهد فيهِ من عجائب الصنائع وفنون الغرائب ثم بارحها الى لوندره ومنها الى روتردام ولاهي من اعمال هولانده وليدن من اعمالها ايضًا وزار مكتبتها الشهيرة وتفرج على مطبعتها المعروفة بالمطبوعات المشرقيَّة ثم توجه منها الى كوبنهاج عاصمة الدانيمارك ومنها الى استوكهلم محل مأموريتهِ فنال من العلماء المجتمعين لهذا المؤتمر باستوكهلم وخرستيانيا مزيد الرعاية والتبجيل واهداهُ اسكار الثاني ملك السويد والنروج عند اتمام هذه المامورية نيشان (وازه) من الدرجة الاولى ومرَّ في العودة من مأموريتهِ على برلين عاصمة بلاد المانيا وويانه عاصمة النمسا فلقي بهما ما لقيهُ في العواصم الاخرى من الاحتفاء وقد اخذ بعد عودتهِ الى مصر يجمع المواد ويعد المعدات لتحرير رحلتهِ التي وعد بها عن المامورية وعمَّا رآهُ في العواصم التي مرَّ عليها ولكن منعهُ من استمرار السير في ذلك مرض السكتة الذي اعتراهُ في شهر رجب الماضي فابقى اتمامها الى ما بعد تمام صحتهِ ولكن عاودهُ بعد ظهر الخميس في ٧ ذي الحجة وهو عائد من ابعاديتهِ بتلحوين وتزايد عليهِ رغمًا عما اتخذ لايقاف سيرهِ من الحيطة الصحيَّة حتَّى وافاه الاجل المحتوم في الساعة الثانية عربيَّة من صباح يوم الاحد عاشر الشهر وهو يوم النحر وشيع محمولاً على هامات الوقار والتبجيل تودعهُ المحاجر والقلوب

وقد تنزل الجناب الخديوي الى التعطف على اهلهِ واولادهِ فعزاهم بالتلغراف عند ما وصل الى مسقط رأسهِ الشريف نبأ وفاة هذا الامير الجليل ولم يكتفِ بذلك بل اظهر ابدهُ الله ما كان للفقيد من المنزلة عند سموهِ فارسل رسولاً خاصًّا ليبلغ تعزيتهُ السامية حرس الله جنابهُ الكريم ومتعهُ بانجالهِ الكرام على الدوام

وقد كان رحمهُ الله من الطبقة الاولى في النظم والنثر اشتهر بفصاحة القلم في ريعان

شبابه ايام كانت مصر خالية من الكتّاب يقل فيها الناظرون الى ألباب الآداب وكان على تأخره في الزمان يذهب في نثره مذهب اهل القرون الوسطى من ابناء اللسان تمتزج عباراته بالارواح رقة وتسري معانيه الى عمائق القلوب دقة ولا شيء اسلس من سجعه الا ما وهب من طبعه وانّا نورد شيئًا من نظمه وقدرًا من نثره لتتحلى ترجمته بالفاظه ومعانيه كما تحلت نفسه بفضائله ومعاليه. فمن كلامه في كتاب له على عهد اسماعيل باشا الخديوي السابق عن سعادة علي باشا مبارك ناظر المعارف العمومية الى سلطان باشا يحثه على ترويج جريدة روضة المدارس شذرة في وصف الديار المصرية وما كانت عليه وما طرأ عليها وما آلت في بعض الاحايين اليه وهي

قد افادت التواريخ العظيمة باجماعها وشهدت الآثار القديمة بلسان ابداعها ان هذه الديار كانت في سالف الاعصار قدوة الامصار في المجد والفخار وكعبة الفضل التي يحجها كل ناجب من كل جانب ومدينة العلم التي يقصدها كل طالب من الاجانب ليستفيدوا من اهلها عوارف معارفهم ويستزيدوا في ظرائف لطائفهم ويحملوا عليهم ما لم يكن الا لديهم من الصنائع العجيبة والبدائع الغريبة فهم الذين سهلوا سبل البراعة لسالكيها وذللوا اعنة الصناعة لمالكيها على حين كان غيرها لم ينشق عن صبح المعارف ظلامها ولا انزاح عن وجه التمدن لثامها فكانت مصر أم الدنيا تقدمًا وتقدمًا واهلها آباء الناس تربية وتعلمًا وكان الكل عيالاً عليها واطفالاً بالنسبة اليها وناهيك دلالة على فضلها القديم ما حكاه افلاطون الحكيم ان سولون الفيلسوف الكبير احد حكماء اليونان المشاهير لما قدم الى مدينة صا المجر في اقليم الغربية ليمارس العلوم والمعارف الحكمية وذلك قبل المسيح عليه السلام بنحو من سبعمائة عام قال له قسوسها يا سولون انما انتم معاشر اليونان بالنسبة الينا اطفال ليس فيكم من شيخ يعد في الرجال الى آخر ما قال وحسبك من بقاياها ما تراه في خبايا زواياها من بدائع الاسرار المرموزة في روائع الآثار المكنوزة التي سارت باحاديث فضلها مطايا الايام فهي عجائب وعقمت عن انتاج مثلها حبالى الليالي التي تلد العجائب. فهي احدوثة الزمان واعجوبة الامكان وبكر الفلك الدائر وبتيمة الدهر الداهر وقد طالما حاولت يد الزمن الغالب ان تعفي آثارها وطاولت هم المتغلبين عليها من الملوك الاجانب دمارها فلم تزل منها بقية يغالبهم افناؤها ويعاندهم بقاؤها حتى شلت عنها ايدي الاعادي وملت منها غوادي العوادي وحتى خضعت لديها ارباب الافكار العالية وتقطعت عليها رقاب الاعصار الخالية وحتى لقد هرمت الايام وهي متباهية بشبابها وتصرمت الاعوام وهي باقية بين اترابها ناطقة

ببراعة عبارتها شاهدة في اشارة حسن شارتها شاهدة لمصر بما لها من قِدَم المجد المؤيد وقدم الصدق في السبق الى كل سودد. على انهُ لو جحد الخصم دعواها وهيهات وطالبها خصمها في محافل الغرب باثبات ما فات لكفاها ان تقيم شاهديها الكريين من حميها الهرمين فيخبرا بما كان من قبل الطوفان ويشهدا بما علم من فضلها وما كان من مجد اهلها وانهم كانوا اثبت الناس في التمدن قدمًا واسبقهم الى التفنن قَدَمًا واطولهم في محاسن الفضائل باعًا واميلهم الى محاسن الشمائل طباعًا ثم تناولتها الايادي المتطلبة وتداولتها الاعادي المتغلبة فنددوا اهلها وبدّدوا شملها واتلفوا ما استطاعوا من تلك المعالم وتفننوا في انواع المظالم حتى اصبح مزاج الفضل بها فاسدًا وسوق العلم فيها كاسدًا وربع المعالي خاليًا وبيت الاماني على عرشهِ خاويًا الى آخر ما جاء في هذا الكتاب

ومن كلام له في رقيم كتبهُ الى بعض اصحابهِ ذكر فيهِ من احوال الذين يلبسون لباس العلم على تماثيل الجهل و يتخلون النسبة الى الفضل وليسوا منها في كثير ولا قليل وجاء في ذلك الكتاب على ذكر اللغة العربيَّة وقواعدها وآدابها وفرائدها بما فيهِ تنبيه لغافل وعظة لعامل بعبارات تأخذ بالالباب الى جادة الصواب قولهُ في وصف اشخاص

اما فلان واترابهُ وفلان واضرابهُ فهم اعجوبة الايام واحدوثة الانام احوال متناقضة وافعال متعارضة فكبر وفقر وعجز وفخر وانف في السماء وقدم في الماء وحال تحت التراب ونفس فوق السحاب ان صدقتهم كذبوا وان ارضيتهم غضبوا وان تباعدت عنهم لاموا وعذلوا وان تقربت منهم شتموا وسبّوا كلاب في جلود اسود وجوه بيض وقلوب سود صغيرة السيئة عندهم كبيرة وكبيرة الحسنة لديهم صغيرة عيون متقدة وقلوب متقدة والسنة حداد وافئدة شداد واجسام صحيحة وقلوب مريضة وجهل طويل ودعاوٍ عريضة النصح لديهم خيانة والسوء عندهم ديانة وقد بذلت في مرضاتهم جهدي واجتنبتهم مري وشهدي وقابلتهم باللطف والعنف وعاملتهم بالنكر والعرف فلا وابيك ما زادوا الاَّ فجورًا وعتوًا ونفورًا ومكرًا وشرورًا وكبرًا وغرورًا ولو وقفت عليهم ليلي ويومي وهجرت لديهم راحتي ونومي وفديتهم بعشيرتي وقومي ثم اطعمتهم من جسمي وآثرتهم من العافية بقسمي لما بلغت من نفوسهم رضاها ولا ادبت من حقوقهم على زعمهم مقتضاها بل ولو صاحبهم جبريل وخاطبهم بالتنزيل واهداهم الجنة في منديل وانزل الشمس اليهم في قنديل ونظم لهم النجوم عقودًا وشق لهم من المجرة برودا وصير الانس والجن لهم عبيدا وجعل الملايكة لهم بعد ذلك جنودا واطلعهم على غيب السماء والارض وخبرهم بما كان وما يكون الى يوم العرض لما اصبح عندهم الاَّ مذمومًا

ولا اسمى لديهم الاَّ ملومًا ولكان منسوبًا للقصور والتقصير والاخلال بالقليل والكثير قوم هذه طباعهم وتلك اوضاعهم من ذا يرضيهم بحال ولو فعل لم المحال الى آخر المقال ستاتي البنيَّة

الروايات

لجناب حبيب افندي بنوت الخاني

القصد من تأليف الروايات تسلية الخواطر وتهذيب الاخلاق فهي آلة يبث بها الكاتب العواطف الشريفة والمبادئ الجليلة وذريعة ينهى بها عن ارتكاب الدنايا على اختلاف انواعها . وقد سعى كتابنا في السنين الاخيرة للاقتداء بكتبة الافرنج فاخذ البعض يؤلف والبعض يعرب فاحمدنا المسعى وشكرنا همة مَن اقدم على هذا العمل المفيد على انهُ لما كان عملنا هذا ناقصًا من عدة وجوه وكان الانتقاد من اكبر بواعث الاصلاح وبلوغ درجة الكمال رأيت ان ابسط لحضرة القراء الكرام بعض ما علمتهُ بالاختبار تنبيهًا للافكار فاقول

من الكتَّاب في لغتنا مَن اقتصر على سرد الوقائع وايراد الحوادث فلم يطنب في مدح من التزم الصدق في اقوالهِ والشجاعة في اعمالهِ والعفة في تصرفاتهِ ولم يوجه اللوم نحو الجبان اللئيم ولم يطنب في ذم كل شرير اثيم حاسبًا ان وقائع الرواية على اختلافها هي الغرض المقصود من تأليفها وقد فاتهُ ان اختراع الحوادث وتلفيق الوقائع انما هما واسطة لاجتذاب القارئ واستمالة خاطرهِ الى النصائح والارشادات التي يجب ان تملأ بها الرواية . وهكذا لو قابلنا بعض ما عرّب من الروايات على اصلهِ لاتضح لنا ان المعرّب قد ضرب صفحًا عن كل تنكيت وتبكيت وردا في الاصل ظنًّا منهُ ان لا فائدة من ذكر ذلك اذ لا تهم القارئ معرفتهُ . فهذا خلل يجب اصلاحهُ والاَّ فاتت الغاية المقصودة و بعُد المرام

ومن الكتاب من لم يجتنب ذكر الالفاظ البذية والاعمال المغايرة للحشمة والادب مما يقطب لذكرهِ وجهُ الاديب نفورًا ويحمر منهُ وجنة العذراء خجلاً كأنهُ ينسى ان الرواية يطالعها الفتيان والفتيات والشبان والشيوخ على اختلاف السن والمذهب

ومن الكتاب من كتب رواية بعبارة هي غاية الفصاحة جمعت اساليب البيان